لها فرصة واحدة يتم بعدها الفراق ؛ لذلك في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « رحمنا الله ، ورحم أخي موسى لو صبر لعرفنا الكثير »[1] .

فهذه هي الثالثة ، وليس لموسى عذر بعد ذلك .

ومعنى : ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الكهف] أي : قد فعلت معي كل ما يمكن فعله ، وليس لي عُذْر بعد ذلك .

ثم يقول سبحانه :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾

استطعم : أي طلب الطعام ، وطلَبُ الطعام هو أصدق أنواع السؤال ، فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج ، فلو سأل مالاً لقلنا : إنه يدخره ، إنما الطعام لا يعترض عليه أحد ، ومنْعُ الطعام عن سائله دليل بُخْل ولُؤْم متأصل في الطباع ، وهذا ما حدث من أهل هذه القرية التي مرّا بها وطلبَا الطعام فمنعوهما .

والمتأمل في الآية يجد أن أسلوب القرآن يُصوّر مدى بُخْل هؤلاء القوم ولُؤْمهم وسُوء طباعهم ، فلم يقُلْ مثلاً : فأبوا أن يطعموهما ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٨٠) كتاب الفضائل من حديث أبي بن كعب بلفظ : « رحمة الله علينا وعلى موسى ، لولا أنه عجل لرأى العجب ، ولكنه أخذته ذمامة من صاحبه » وفي لفظ آخر له أيضاً ولأحمد (١٢١/٥) : « يرحم الله موسى ، لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما » .

بل قال : ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا .. (٧٧)﴾ [الكهف] وفرق بين الإطعام والضيافة ، أبَوْا الإطعام يعنى منعوهما الطعام ، لكن أبَوْا أن يُضيِّفوهما ، يعنى كل ما يمكن أنْ يُقدَّم للضيف حتى مجرد الإيواء والاستقبال ، وهذا مُنْتَهى ما يمكن تصوُّره من لُؤْمْ هؤلاء الناس .

وتلحظ أيضاً تكرار كلمة (أهْل) فلما قال : ﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ .. (٧٧)﴾ [الكهف] فكان المقام للضمير فيقول : استطعموهم ، لكنه قال : ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا .. (٧٧)﴾ [الكهف] لأنهم حين دخلوا القرية : هل قابلوا كل أهلها ، أم قابلوا بعضهم الذين واجهوهم أثناء الدخول ؟

بالطبع قابلوا بعضهم ، أما الاستطعام فكان لأهل القرية جميعاً ، كأنهما مرَّا على كل بيت فى القرية وسألا أهلها جميعاً واحداً تلو الآخر دون جدوى ، كأنهم مجمعون على البُخْل ولُؤْم الطباع .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ .. (٧٧)﴾ [الكهف]

أى : لم يلبثا بين هؤلاء اللئام حتى وَجَدا جداراً يريد أنْ ينقضّ ، ونحن نعرف أن الإرادة لا تكون إلا للمفكر العاقل ، فإنْ جاءت لغير العاقل فهى بمعنى : قَرُب . أى : جداراً قارب أنْ ينهار ، لما نرى فيه من علامات كالتصدُّع والشُّروخ مثلاً .

وهذا الفهم يتناسب مع أصحاب التفكير السطحى وضيِّقى الأفق ، أما أصحاب الأفق الواسع الذين يعطون للعقل دوره فى التفكير والنظر ويُدقِّقون فى المسائل فلا مانع لديهم أنْ يكونَ للجدار إرادة على أساس أن لكل شىء فى الكون حياةً تناسبه ، ولله تعالى أن يخاطبه ويكون بينهما كلام .

ألم يَقُل الحق سبحانه : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ .. ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان]

فإذا كانت السماء تبكى فقد تعدَّتْ مجرد الكلام ، وأصبح لها أحاسيس ومشاعر ، ولديها عواطف قد تسمو على عواطف البشر ، فقوله : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ .. ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان] دليل على أنها تبكى على فَقْد الصالحين .

وقد سُئِل الإمام على ـ رضى الله عنه ـ عن هذه المسألة فقال : « نعم ، إذا مَات المؤمن بكى عليه موضعان : موضع فى السماء وموضع فى الأرض ، أما موضعه فى الأرض فموضع مُصلاَّه ، أما موضعه فى السماء فهو مصعد عمله »(١) .

وهذا دليل انسجام العبد المؤمن مع الكَوْن من حوله ، فالكون ساجد لله مُسبِّح لله طائع لله يحب الطائعين وينبُو بالعاصين ويكرههم ويلعنهم ؛ لذلك العرب تقول : (نَبَا به المكان) أى : كرهه لأنه غير منسجم معه ، فالمكان طائع وهو عاص ، والمكان مُسبِّح وهو غافل .

وعلى هذا الفهم فقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ .. ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف] قول على حقيقته .

إذن : فهذه المخلوقات لها إحساس ولها بكاء ، وتحزن لفقد الأحبة ، وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث »(٢) .

---

(١) أورده ابن كثير فى تفسيره (١٤٢/٤) وعزاه لابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب بلفظ : « إنه ليس من عبد إلا له مصلى فى الأرض ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح فى الأرض ولا عمل يصعد فى السماء ، ثم قرأ على رضى الله عنه ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ .. ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان] » .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٨٩/٥ ، ٩٥) ، ومسلم فى صحيحه (٢٢٧٧) كتاب الفضائل من حديث جابر بن سمرة .

ورُوى فى السيرة حنين الجذع إلى رسول الله ، وتسبيح الحصى فى يده ﷺ . وسبق أن أوضحنا هذه المسألة فقلنا : لا ينبغى أن نقول : سبَّح الحصى فى يد رسول الله ؛ لأن الحصى يُسبِّح أيضاً فى يد أبى جهل ، لكن نقول : سمع رسول الله ﷺ تسبيح الحصى فى يديه .

ولا غرابة أن يعطينا القرآن أمثلة لكلام هذه الأشياء ، فقد رأينا العلماء فى العصر الحديث يبحثون فى لغة للأسماك ، ولغة للطير ، ولغة للوطاويط التى أخذوا منها فكرة الرادار ، بل وتوصلوا إلى أن الحيوان يستشعر بوقوع الزلزال وخاصة الحمار ، وأنها تفرّ من المكان قبل وقوع الزلزال مباشرة . إذن : فلهم وسائل إدراك ، ولهم لغة يتفاهمون بها ، ولهم منطق يعبرون به .

ثم يقول الحق سبحانه عن فعْل الخضر مع الجدار الذى قارب أن ينقض ﴿فَأَقَامَهُ ۝٧٧﴾ [الكهف] ، أى : أصلحه ورمَّمه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف]

هذا قول موسى ـ عليه السلام ـ لما رأى لُؤْمَ القوم وخسَّتهم ، فقد طلبنا منهم الطعام فلم يُطْعمونا ، بل لم يقدموا لنا مجرد المأوى ، فكيف نعمل لهم مثل هذا العمل دون أجرة ؟

وجاء هذا القول من موسى ـ عليه السلام ـ لأنه لا يعلم الحكمة من وراء هذا العمل .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾

(قَالَ) أى : العبد الصالح (هذا) أى : ما حدث منك من قولك : ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ [الكهف] وقد سبق أن

اشترط موسى ـ عليه السلام ـ على نفسه إن اعترض على معلمه هذه المرة يكون الفراقُ بينهما ، وكأن العبد الصالح لم يأت بشيء من عنده ، لقد قالَ موسى : ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف] وهاهو يسأله ، إذن : فليس إلا الفراق : ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .. ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف]

قوله : ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .. ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف] تُعد دُستوراً من الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ودليلاً على أن هذين المذهبين لا يلتقيان ، فيظل كل منهما له طريقه : المرتاض له طريقه ، وغير المرتاض له طريقه ، ولا ينبغي أن يعترض أحدهما على الآخر ، بل يلزم أدبه في حدود ما علّمه الله .

ثم يقول تعالى على لسان الخضر : ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف] أي : لن أتركك وفي نفسك هذه التساؤلات ، حتى لا يكون في نفسك مني شيء ، سوف أخبرك بحقيقة هذه الأفعال التي اعترضْتَ عليها لتعلم أن الله لم يخدعْكَ ، بل أرسلك إلى مَنْ يُعلّمك شيئاً لم تكُنْ تعلمه .

ثم أخذ العبد الصالح يكشف لموسى الحكمة من هذه الأفعال واحداً تلْو الآخر ، كما لو عتبَ عليك صاحبك في أمر ما ، وأنت حريص على مودّته فتقول له : أمهلني حتى أوضح لك ما حدث ، لقد فعلتُ كذا من أجل كذا ، لتريح قلبه وتُزيل ما التبس عليه من هذا الأمر .

وقالوا : إن هذا من أدب الصُّحْبة ، فلا يجوز بعد المصاحبة أنْ نفترقَ على الخلاف ، ينبغي أن نفترق على وفَاق ورضا ؛ لأن الافتراق على الخلاف يُنمِّي الفجوة ويدعو للقطيعة ، إذن : فقبل أنْ نفترق : المسألة كيت وكيت ، فتتضح الأمور وتصفو النفوس .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾

قوله : (لمسَاكينَ) اللام هنا للملكية ، يعنى مملوكة لهم ، وقد حسمتْ هذه الآيةُ الخلافَ بين العلماء حول تعريف الفقير والمسكين ، وأيهما أشدّ حاجةً من الآخر ، وعليها فالمسكين : هو مَنْ يملك شيئاً لا يكفيه ، كهؤلاء الذين كانوا يملكون سفينة تعمل فى البحر ، وسماهم القرآن مساكين ، أما الفقير : فهو مَنْ لا يملك شيئاً .

ومعنى ﴿ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ .. ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف] أى : مجال عملهم البحر ، يعملون فيه بنقل الركاب أو البضائع ، أو الصيد ، أو خلافه .

وقوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا .. ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف] المتكلم هنا هو الخضْر ـ عليه السلام ـ فنسب إرادة عَيْب السفينة إلى نفسه ، ولم ينسبها إلى الله تعالى تنزيهاً له تعالى عمَّا لا يليق ، أما فى الخير فنسب الأمر إلى الله فقال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا .. ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف] لذلك فإنه فى نهاية القصة يُرجع كل ما فعله إلى الله فيقول : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي .. ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف]

ثم يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف] كلمة : كل ترسم سُوراً كُلياً لا يترك شيئاً ، فالمراد يأخْذ كل سفينة ، سواء أكانت معيبة أم غير معيبة ، لكن الحقيقة أنه يأخذ السفينة الصالحة للاستعمال فقط ، ولا حاجةَ له فى المعيبة الغير صالحة ، وكأن فى سياق الآية صفة مُقدَّرة : أى يأخذ كل سفينة صالحة غَصْباً من صاحبها .

والغَصْب : ما أُخذ بغير الحق ، عَنْوةً وقَهْراً ومُصَادرة ، وله صور

متعددة منها مثلاً السرقة : وهى أخْذ المال من حرْزه خفية ككسر دولاب أو خزينة ، ومنها الغَصْب : وهو أخْذ مال الغير بالقوة ، وتحت سمعه وبصره ، وفى هذه الحالة تحدث مقاومة ومشادة بين الغاصب والمغصوب .

ومنها الخطف : وهو أخْذ مال الغير هكذا علانية ، ولكن بحيلة ما ، يخطف الشيء ويفرّ به دون أن تتمكّن من اللحاق به ، فالخَطْفُ - إذن - يتم علانية ولكن دون مقاومة . ومنها الاختلاس : وهو أن تأخذ مال الغير وأنت مؤتمن عليه ، والاختلاس يحدث خفية ، ولا يخلو من حيلة تستره .

وما دام الأمر هنا غَصْباً فلا بُدَّ لمالك الشيء أنْ يقاوم ولو بعض مقاومة يدافع بها عن حَقِّه ، وقد يتوسل إليه أنْ يترك له ماله ، فالمسألة - إذن - فيها كلام وأخْذٌ ورَدٌّ .

إذن : خَرْق السفينة فى ظاهره اعتداء على ملك مُقوّم ، وهذا منهىّ عنه شرعاً ، لكن إذا كان هذا الاعتداء سيكون سبباً فى نجاة السفينة كلها من الغاصب فلا بأس إذن ، وسفينة معيبة خير من عدمها ، ولو علِم موسى - عليه السلام - هذه الحكمةَ لَبادرَ هو إلى خَرْقها .

وما دام الأمر كذلك ، فعلينا أن نُحوِّل السفينة إلى سفينة غير صالحة ونعيبها بخَرْقها ، أو بخلْع لَوْح منها لنصرف نظر الملك المغتصب عن أخْذها .

وكلمة (وَرَاءَهُمْ) هنا بمعنى أمامهم ؛ لأن هذا الظالم كان يترصَّد للسفن التى تمر عليه ، فما وجدها صالحة غصبها ، فهو فى الحقيقة أمامهم ، على حدِّ قوله تعالى : ﴿ مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [إبراهيم] . وهل جهنم وراءه أم أمامه ؟

وتستعمل وراء بمعنى : بَعْد ، كما فى قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود]

وتأتي وراء بمعنى : غير . كما في قوله تعالى في صفات المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون]

وفي قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ .. ۝ ﴾ إلى .. ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ .. ۝ ﴾ [النساء]

وقد تستعمل وراء بمعنى خلف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .. ۝ ﴾ [آل عمران]

إذن : كلمة (وراء) جاءتْ في القرآن على أربعة معانٍ : أمام ، خلف ، بعد ، غير . وهذا مما يُميِّز العربية عن غيرها من اللغات ، والملكة العربية قادرة على أن تُميِّز المعنى المناسب للسياق ، فكلمة العَيْن - مثلاً - تأتي بمعنى العين الباصرة . أو : عين الماء ، أو : بمعنى الذهب والفضة ، وبمعنى الجاسوس . والسياق هو الذي يُحدد المعنى المراد .

ثم يقول الحق سبحانه في قرآنه عما أوضحه الخضر لموسى عليه السلام مما خفي عليه :

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ ﴾

الغلام : الولد الذي لم يبلغ الحُلُم وسِنّ التكليف ، وما دام لم يُكلَّف فما يزال في سنِّ الطهارة والبراءة من المعاصي ؛ لذلك لما اعترض موسى على قتله قال : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً .. ۝ ﴾ [الكهف] أي : طاهرة ، ولا شكَّ أن أخْذ الغلام في هذه السِّنِّ خَيْر له ومصلحة قبل أنْ تلوّثه المعاصي ، ويدخل دائرة الحساب .

إذن : فطهارته هى التى دعتْنَا إلى التعجيل بأخذه . هذا عن الغلام ، فماذا عن أبيه وأمه ؟

يقول تعالى : ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ .. ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف] وكثيراً ما يكون الأولاد فتنة للآباء ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ(١) فَٱحْذَرُوهُمْ .. ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن]

والفتنة بالأولاد تأتى من حِرْص الآباء عليهم ، والسعى إلى جعلهم فى أحسن حال ، وربما كانت الإمكانات غير كافية ، فيُضطر الأب إلى الحرام من أجل أولاده . وقد علم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن هذا الغلام سيكون فتنة لأبويه ، وهما مؤمنان ولم يُرِد الله تعالى لهما الفتنة ، وقضى أن يقبضهما إليه على حال الإيمان .

وكأن قضاء الله جاء خيراً للغلام وخيراً للوالدين ، وجميلاً أسْدِى إلى كليْهما ، وحكمة بالغة تستتر وراء الحدَث الظاهر الذى اعترض عليه موسى عليه السلام .

لذلك يُعَدُّ من الغباء إذا مات لدينا الطفل أو الغلام الصغير أنْ يشتد الحزن عليه ، وننعى طفولته التى ضاعتْ وشبابه الذى لم يتمتع به ، ونحن لا ندرى ما أُعدَّ له من النعيم ، لا ندرى أن مَنْ أُخذ من أولادنا قبل البلوغ لا يُحدَّد له مسكن فى الجنة ، لأنها جميعاً له، يجرى فيها كما يشاء ، ويجلس فيها أين أحب ، يجلس عند الأنبياء

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (٤/٣٧٦) : « بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح » وذكر ابن أبى حاتم فى هذا أثراً عن ابن عباس رضى الله عنهما : « هؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهَمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن] .

وعند الصحابة ، لا يعترضه أحد ، لذلك يُسمَّوْن « دعاميص[1] الجنة »[2] .

ثم يقول تعالى : ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف]

خشينا : خفْنا . فالواحد منا يولد له ابن ، فيكون قرة عَيْن وسنداً ، وقد يكون هذا الابن سبباً فى فساد دين أبيه ، ويحمله على الكذب والرشوة والسرقة ، فهذا الابن يقود أباه إلى الجحيم ، ومن الخير أن يبعد الله هذا الولد من طريق الوالد فلا يطغى .

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾

ولا يفوت الخضر ـ عليه السلام ـ أن ينسب الخير هنا أيضاً إلى الله ، فيقول : أنا أحب هذا العمل وأريده ، إنما الذى يُبدِّل فى الحقيقة هو الله تعالى ﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا .. ﴿٨١﴾ ﴾ [الكهف] فهذا الخير من الله ، وما أنا إلا وسيلة لتحقيقه .

وقوله : ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً .. ﴿٨١﴾ ﴾ [الكهف] أى : طُهْراً ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الكهف] لأنهما أرادا الولد لينفعهما فى الدنيا ، وليكون قُرَّة عَيْن لهما ، ولما كانت الدنيا فانية لا بقاءَ لها ، وقد ثبت فى علمه تعالى أن هذا الولد سيكون فتنة لأبويْه ، وسيجلب عليهما المعاصى

---

(١) الدعاميص : جمع دعموص ، وهو الدخَّال فى الأمور أى أنهم سياحون فى الجنة دخَّالون فى منازلها لا يُمنعون من موضع . [لسان العرب ـ مادة : دعمص] .

(٢) عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة : إنه قد مات لى ابنان ، فما أنت مُحدثى عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه فيأخذ بثوبه ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا ، فلا يتناهى حتى يُدخله الله وأباه الجنة » أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٦٣٥) ، وأحمد فى مسنده (٢/ ٥١٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

والسيئات ، وسيجرّهما إلى العذاب ، كانت الرحمة الكاملة فى أخذه بدل أنْ يتمتّعا به فى الدنيا الفانية ، ويشقيا به فى الآخرة الباقية .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ [1] وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ [2] لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

(لِغُلاَمَيْنِ) أى : لم يبلغا سنَّ الرشْد ، وفوق ذلك هما يتيمان . وكان تحت هذا الجدار المائل كَنْز لهذين الغلامين الغير قادرين على تدبير شأنهما ، ولك أنْ تتصوّر ما يحدث لو تهدَّم الجدار ، وانكشف هذا الكنز ، ولمع ذهبه أمام عيون هؤلاء القوم الذين عرفت صفاتهم ، وقد منعوهما الطعام بل ومجرد المأوى ، إنَّ أقل ما يُوصفون به أنهم لئام لا يُؤتمنون على شىء . ولقد تعوَّدنا أن نعبر عن شدة الضياع بقولنا : ضياع الأيتام على موائد اللئام .

إذن : فلا شكَّ أن ما قام به العبد الصالح من بناء الجدار وإقامته أو ترميمه يُعَدُّ بمثابة صفْعة لهؤلاء اللئام تناسب ما قابلوهم به من تنكُّر وسوء استقبال ، وترد لهم الصّاع صاعين حين حرمهم الخضر من هذا الكنز .

---

(١) قال هنا الحق سبحانه : ﴿ فِى ٱلْمَدِينَةِ .. ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف] . وفى آية أخرى قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ .. ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف] . ولذلك قال ابن كثير فى تفسيره (٣/٩٨) : « فى هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة » .

(٢) قال عكرمة وقتادة وغير واحد : كان تحته مال مدفون لهما ، قال ابن كثير (٣/٩٨) : « وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفى عن ابن عباس : كان تحته كنز علم » .

فعلّة إصلاح الجدار ما كان تحته من مال يجب أنْ يحفظ لحين أنْ يكبُرَ هذان الغلامـان ويتمكنا من حفظه وحمايتـه فى قرية من اللئام . وكـان الحق سبـحانه وتعـالى أرسله لهـذين الغلامـين فى هذا الوقت بالذات ، حيث أخذ الجدار في التصدُّع ، وظهرت عليه علامات الانهيار ليقـوم بإصلاحه قبل أنْ يقع وينكشف أمـر الكنز وصاحبيـه فى حال الضعف وعدم القدرة على حمايته .

ثم إن العبد الصالح أصلح الجـدار وردّه إلى ما كان عليه رَدَّ مَنْ علّمـه الله من لَدُنْه ، فـيـقال : إنه بنَـاهُ بناءً موقـوتاً يتناسـب وعُمْـرَ الغلامين ، وكـانه بناه على عمر افتراضى ينتـهى ببلوغ الغلامين سنَّ الرشْد والقدرة على حماية الكنز فينهار . وهذه فى الواقع عملية دقيقة لا يقدر على حسابها إلا مَنْ أوتِى علماً خاصاً من الله تعالى .

ويبدو من سـياق الآية أنهـما كـانا فى سنٍّ واحدة توأميـن لقوله تعالى : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا .. (٨٢) ﴾ [الكهف] أى : سوياً ، ومعنـى الأشُدّ : أى القوة ، حـيث تكتـمل أجهزة الـجسم وتسـتوى ، وأجهزة الجسم تكتمل حينما يصبح المرء قادراً على إنجاب مثله .

وتلاحظ أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قال هنا : ﴿ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا .. (٨٢) ﴾ [الكهف] ولم يقُلْ رُشْدهمـا ، لأنْ هناك فرْقاً بين الرُشْـد والأَشُدّ فـالرُشْد : حُسْن التـصرُّف فى الأمـور ، أمـا الأشُدّ : فـهو القـوة ، والغلامان هنا فى حاجة إلى القوة التى تحمى كَنْزهما من هؤلاء اللئام فناسب هنا ﴿ أَشُدَّهُمَا .. (٨٢) ﴾ [الكهف]

ثم يقول تعالى : ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ .. (٨٢) ﴾ [الكهف] أى : يستـخرجـاه بما لديهمـا من القوة والفُـتوّة . والرحـمة : صفة تُعطَى للمرحوم لتمنعه من الداء ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ

مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.. (٨٢)﴾ [الإسراء] فقوله : شفاء : أى : يشفى داءً موجوداً ويُبرئه . ورحمة : أى رحمة تمنع عودة الداء مرة أخرى .

وكذلك ما حدث لهذين الغلامين ، كان رحمة من الله لحماية مالهما وحفظ حقهما ، ثم لم يَفُتْ العبد الصالح أنْ يُرجِع الفضل لأهله ، وينفى عن نفسه الغرور بالعلم والاستعلاء على صاحبه ، فيقول : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي .. (٨٢)﴾ [الكهف] أى : أن ما حدث كان بأمر الله ، وما علَّمتك إياه كان من عند الله ، فليس لى مَيْزة عليك ، وهذا درس فى أدب التواضع ومعرفة الفضلْ لأهله .

ثم يقول : ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع(1) عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾ [الكهف] تأويل : أى إرجاع الأمر إلى حقيقته ، وتفسير ما أشكل منه .

* * *

بعد ذلك تنتقل الآيات إلى سؤال آخر من الأسئلة الثلاثة التى سألها كفار مكة لرسول الله بإيعاز من اليهود ، وهو السؤال عن الرجل الطَّواف الذى طاف البلاد :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)﴾

ذو القرنين : هذا لقبه ؛ لأنه ربما كان فى تكوينه ذا قرنين ، أو

(١) فى هذه الآية قال : ﴿مَا لَمْ تَسْطِع .. (٨٢)﴾ [الكهف] . وقبل ذلك قال : ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع .. (٧٨)﴾ [الكهف] . قال ابن كثير فى تفسيره (٣/١٠٠) : « لما أن فسَّره وبيَّنه ووضَّحه وأزال المشكل قال (تسطع) وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقيلاً فقال (ما لم تستطع) فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف . كما قال ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ .. (٩٧)﴾ [الكهف] . وهو الصعود إلى أعلاه . وقال : ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ [الكهف] . وهو أشق من ذلك ، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى ، والله أعلم » .

يلبس تاجاً له اتجاهان ؛ أو لأنه بلغ قرنى الشمس فى المشرق وفى المغرب .

وقد بحث العلماء فى : مَنْ هو ذو القرنين ؟ فمنهم مَنْ قال : هو الإسكندر الأكبر المقدونى الطواف فى البلاد ، لكن الإسكندر الأكبر كان فى مقدونيا فى الغرب ، وذو القرنين جاب المشرق والمغرب مما دعا عالماً محققاً من علماء الهند هو : أبو الكلام آزاد ـ وزير المعارف الهندى ـ إلى القول بأنه ليس هو الإسكندر الأكبر ، بل هو قورش الصالح ، وهذه رحلته فى الشرق والغرب وبين السدين ، كما أن الإسكندر كان وثنياً ، وكان تلميذاً لأرسطو ، وذو القرنين رجل مؤمن كما سنعرف من قصته .

وعلى العموم ، ليس من صالح القصة حَصْرها فى شخص بعينه ؛ لأن تشخيص حادثة القصة يُضعف من تأثيرها ، ويصبغها بصِبْغة شخصية لا تتعدى إلى الغير فنَرى مَنْ يقول بأنها مسألة شخَصية لا تتكرر .

إذن : لو جاء العلم فى ذاته سنقول : هذه الحادثة أو هذا العَمَل خاص بهذا الشخص ، والحق ـ سبحانه وتعالى ـ يريد أن يضرب لنا مثلاً يعُمُّ أى شخص ، ماذا سيكون مَسْلكه وتصرّفه إنْ مكَّنَ الله له ، ومنحه الله قوة وسلطة ؟

ولو حددَ القرآن هذه الشخصية فى الإسكندر أو قورش أو غيرهما لَقُلْنَا : إنه حَدث فرديّ لا يتعدى هذا الشخص ، وتنصرف النفس عن الأسْوة به ، وتفقد القصة مغزاها وتأثيرها . ولو كان فى تعيينه فائدة لَعيَّنه الله لَنَا .

وسبق أنْ أوضحنا أن الحق ـ سبحانه ـ عندما ضرب مثلاً للذين

كفروا ، قال : ﴿ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ .. ⦗١٠⦘ ﴾ [التحريم] ولم يُعيِّنهما على التحديد ؛ لأن الهدف من ضرب المثل هنا بيان أن الرسول المرسَل من الله لهداية الناس لم يتمكّن من هداية زوجته وأقرب الناس إليه ؛ لأن الإيمان مسألة شخصية ، لا سيطرة فيها لأحد على أحد .

وكذلك لما ضرب الله مثلاً للذين آمنوا قال : ﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ .. ⦗١١⦘ ﴾ [التحريم]

ففرعون الذى أضلَّ الناس وادَّعى الألوهية زوجته مؤمنة ، وكأن الحق سبحانه يُلمِّح للناس جميعاً أن رأيك فى الدين وفى العقائد رأى ذاتى ، لا يتأثر بأحد أيّاً كان ، لا فى الهداية بنبى ، ولا فى الغواية بأضلِّ الضالين الذى ادعى الألوهية .

وهكذا يحفظ الإسلام للمرأة دورها وطاقتها ويحترم رأيها .

إذن : الحق سبحانه وتعالى أتى بهذه القصة غير مُشخَّصة لتكون نموذجاً وأُسْوة يحتذى بها كل أحد ، وإلاَّ لو شخصتْ لارتبطتْ بهذا الشخص دون غيره ، أما حينما تكلم الحق سبحانه عن مريم فنراه يحددها باسمها ، بل واسم أبيها ؛ ذلك لأن ما سيحدث لمريم مسألة خاصة بها ، ولن تحدث بعدها أبداً فى بنات آدم ، لذلك عيَّنها وشخَّصها ؛ لأن التشخيص ضرورى فى مثل هذا الموقف .

أما حين يترك المثل أو القصة دون تشخيص ، فهذا يعنى أنها صالحة لأنْ تتكرر فى أىّ زمان وفى أىّ مكان ، كما رأينا فى قصة أهل الكهف ، وكيف أن الحق سبحانه أبهمهم أسماءً ، وأبهمهم مكاناً وأبهمهم زماناً ، وأبهمهم عدداً ، ليكونوا أُسْوة وقُدْوة للفتيان المؤمنين فى أىِّ زمان ، وفى أىِّ مكان ، وبأىِّ عدد .

قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ .. ⦗٨٣⦘ ﴾ [الكهف]

نلاحظ أن مادة السؤال لرسول الله ﷺ فى القرآن أخذتْ حيِّزاً كبيراً فيه ، فقد ورد السؤال للنبى من القوم ست عشرة مرة ، إحداها بصيغة الماضى فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ .. (١٨٦) ﴾ [البقرة]

وخمس عشرة مرة بصيغة المضارع ، كما فى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ .. (١٨٩) ﴾ [البقرة]

وقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ .. (٢١٥) ﴾ [البقرة]

: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .. (٢١٧) ﴾ [البقرة]

: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ .. (٢١٩) ﴾ [البقرة]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ .. (٢١٩) ﴾ [البقرة]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ .. (٢٢٠) ﴾ [البقرة]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ .. (٢٢٢) ﴾ [البقرة]

: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ .. (٤) ﴾ [المائدة]

: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ .. (١٨٧) ﴾ [الأعراف] ثلاث مرات،[النازعات ٤٢]

: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ .. (١) ﴾ [الأنفال]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ .. (٨٥) ﴾ [الإسراء]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ .. (٨٣) ﴾ [الكهف]

: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) ﴾ [طه]

خمسة عشر سؤالاً بالمضارع ، إلا أن الجوابَ عليها مختلف ،

وكلها صادرة عن الله الحكيم ، فلا بُدَّ أنْ يكون اختلاف الجواب في كل سؤال له ملْحظ ، ومن هذه الأسئلة ما جاء من الخصوم ، ومنها ما سأله المؤمنون ، السؤال من المؤمنين لرسول الله ـ وقد نهاهم أنْ يسألوه حتى يهدأوا ـ إلحاحٌ منهم في معرفة تصرُّفاتهم وإنْ كانت في الجاهلية ، إلا أنهم يريدون أنْ يعرفوا رأى الإسلام فيها ، فكأنهم نَسُوا عادات الجاهلية ويرغبون في أن تُشرَّع كل أمورهم على وَفْق الإسلام .

وبتأمّل الإجابة على هذه الأسئلة تجد منها واحدةً يأتي الجواب مباشرة دون (قُلْ) وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ .. ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] وواحدة وردتْ مقرونة بالفاء (فَقُلْ) وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه]

وباقي الأسئلة وردت الإجابة عليها بالفعل (قُلْ) ، فما الحكمة في اقتران الفعل بالفاء في هذه الآية دون غيرها ؟

قالوا : حين يقول الحق سبحانه في الجواب (قُلْ) فهذه إجابة على سؤال سُئِلَهُ رسول الله بالفعل ، أي : حدث فعلاً منهم ، أما الفاء فقد أتتْ في الجواب على سؤال لم يُسأله ، ولكنه سيُسأله مستقبلاً .

فقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ .. ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه] سؤال لم يحدث بَعْد ، فالمعنى : إذا سألوك فَقُلْ ، وكأنه احتياط لجواب عن سؤال سيقع .

فإذا قُلْتَ : فما الحكمة في أنْ يأتي الجواب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ .. ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] خالياً من : قُلْ أو فَقُلْ : مع أن (إذا) تقتضي الفاء في جوابها ؟

نقول : لأن السؤال هنا عن الله تعالى ، ويريد سبحانه وتعالى أنْ يُجيبهم عليه بانتفاء الواسطة من أحد ؛ لذلك تأتي الإجابة

مباشرة دون واسطة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ .. (١٨٦) ﴾ [البقرة]

قوله تـعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ .. (٨٣) ﴾ [الكهف] أى : عن تاريخه وعن خبره والمهمة التى قام بها ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾ [الكهف]

وأىُّ شرف بعد هذا الشرف ، إن الحق تبارك وتعالى يتولّى التأريخ لهذا الرجل ، ويُؤرِّخ له فى قرآنه الكريم الذى يُتلَى ويُتعبَّد به إلى يوم القيامة والذى يُتحدّى به ، ليظل ذكْره باقياً بقاء القرآن ، خالداً بخلوده ، ويظل أثره فيما عمل أُسْوة وقُدْوة لمن يعمل مثله . إنْ دَلَّ هذا على شىء فإنما يدلُّ على أن العمل الصالح مذكور عند الله قبل أنْ يُذكَرَ عند الخلق .

فأىُّ ذكْر أبقى من ذكر الله لخبر ذى القرنين وتاريخه ؟

و (مِنْهُ) أى : بعضاً من ذكْره وتاريخه ، لا تاريخه كله .

وكلمة (ذِكْر) وردت فى القرآن الكريم بمعان متعددة ، تلتقى جميعها فى الشرف والرفعة ، وفى التذكُّر والاعتبار . وإنْ كانت إذا أُطلقتْ تنصرف انصرافاً أولياً إلى القرآن ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر] وبعد ذلك تُستعمل فى أىِّ كتاب أنزله الله تعالى من الكتب السابقة ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) ﴾ [النحل]

وقد يُطلَق الذكر على ما يتبع هذا من الصِّيت والشرف والرفعة وتخليد الاسم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ .. (١٠) ﴾ [الأنبياء]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ .. (٤٤) ﴾ [الزخرف]

أى : صيت حسن وشرف ورفعة كون القرآن يذكر هذا الاسم ؛ لأن الاسم إذا ذُكر فى القرآن ذاعَ صيتُه ودوَّى فى الآفاق .

وقلنا فى قصة زيد بن حارثة أنه كان عبداً بعد أنْ خُطف من قومه وبيع فى مكة لخديجة رضى الله عنها ، ثم وهبته لرسول الله ﷺ ؛ لذلك أطلقوا عليه زيد بن محمد ، فلما علم أهله بوجوده فى مكة أتى أبوه وعمه ، وكلّموا رسول الله فى شأن زيد فقال : خيِّروه .

فلما خيَّروا زيداً قال : ما كنتُ لأختار على رسول الله أحداً ، لذلك أكرمه النبى ﷺ وسمَّاه زيدَ بن محمد ، فلما أراد الحق سبحانه أن يبطل التبنى ، ونزل قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ .. (٤٠) ﴾ [الأحزاب] وقال : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ .. (٥) ﴾ [الأحزاب]

فلا تقولوا : زيد بن محمد . وقولوا : زيد بن حارثة ، وهنا حَزِنَ زَيْد لهذا التغيير ، ورأى أنه خسر به شرفاً عظيماً بانتسابه لمحمد ، ولكن الحق سبحانه وتعالى يجبر خاطر زيد ، ويجعل اسمه علَماً يتردد فى قرآن يُتْلَى ويُتعبَّد به إلى يوم القيامة ، فكان زيد هو الصحابى الوحيد الذى ورد ذكره باسمه فى كتاب الله فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا[1] زَوَّجْنَاكَهَا .. (٣٧) ﴾ [الأحزاب]

فأىُّ شرف أعلى وأعظم من هذا الشرف ؟

ونلحظ فى هذه الآية : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ..(٥) ﴾

(١) الوطر : الحاجة التى يعتنى بها الإنسان ويهتم لها ، وإذا بلغها قيل : إنه قضى وطره ، أى : حقق رغبته وقضى حاجته وانتهى من أمرها . وقوله عن زيد معناه : فلما طلقها ولم يعد بحاجة لها . [القاموس القويم ٢/٣٤٣] .